قومية مستقلة . ولقد تم تحول الحلم الهرتزلي الى حركة سياسية عملية تعمل لاقامة دولة يهودية في فلسطين في المؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في آب ١٨٩٧ في بال بسويسرا . فقد تبنى المؤتمر في مقرراته التي عرفت بأسم « برنامج بال » فلسطين على أنها **الارض** التي ستقام فيها الدولة الصهيونية .

ليس الامر المهم هنا مطامح الصهيونيين في وطن ، ولكن المهم هو التوجه الصهيوني فيما يتعلق بمصير سكان فلسطين الاصليين . نظر هرتزل الى المخطط الصهيوني لاقامة دولة قومية في فلسطين على أنه امتداد لثلاثة عناصر هامة . اولا : الاستيطان الصهيوني في فلسطين امتداد للامبريالية الاوروبية. وقد بنى هرتزل على هذا المنطق آماله في الدعم الاوروبي . واوضح ان الدولة الصهيونية في فلسطين ستكون المركز الامامي للسياسات الامبريالية الاوروبية في الشرق ، فكتب يقول « سنؤلف هناك جزءا من المتراس الاوروبي ضد آسية ومركزا أماميا للمدنية بوجه البربرية»(٧١). العنصر الثاني في الخطة الصهيونية هو السلبية الكامنة في موقف هرتزل من اليهود . فقد كان يعتقد ان اللاسامية «حركة نافعة للخلق اليهودي». وكان يرى مفهومه للخير والحرية والابداع القومي في ضوء الضغط الذي يتعرض اللاسامية اليهود له(٧٢). ومع ذلك فقد كان الحل الذي ارتآه هرتزل في جوهره تكريسا للانعزالية ذاتها التي طبعت اللاسامية بطابعها . فهو لم يناد بالقضاء على اللاسامية في اوروبا ، ولم يدع الى خلق مجتمع اوروبي جديد منفتح ، بل كان الحل الذي تقدم به وفيا للتقليد الاوروبي : اقامة دولة انعزالية في مكان ما بعيدا عن اوروبة . لقد كانت اللاسامية الاوروبية ترى في اليهودي عقبة انسانية ، فأتت صهيونية هرتزل لترى في المواطن الاصلي الفلسطيني عقبة انسانية. وكان اللاسامي والصهيوني مصممين على التخلص من هذا العائق .

العنصر الثالث والاكثر اهمية في المخطط الصهيوني هو تعداد هرتزل لـ « الالتزامات » التي يتوجب على المستوطنين الصهيونيين القيام بها تجاه مواطني فلسطين العرب : ١ ـ « علينا ان نقوم بنزع الملكية الخاصة بلطف عن الاراضي المعينة لنا . ٢ ـ سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين العمل لهم في البلدان الانتقالية (بلدان الترانزيت) ، على أن نسد في وجوههم كل مجالات الاستخدام في بلادنا . ٣ ـ اذا انتقلنا الى منطقة تضم حيوانات متوحشة لم يعتد عليها اليهود ـ كالافاعي الكبيرة ... الخ ـ فسوف استعين بالاهلين ، قبل اعطائهم عملا في البلدان الانتقالية ، للقضاء على هذه الحيوانات . على ان تكون المكافآت عالية لمن يأتي بجلود الافاعي او بيوضها »(٧٣).

تبين « الالتزامات » التي ذكرناها الطريقة التي اقترحها هرتزل للتعامل مع العقبة الانسانية التي ستواجهها الدولة الصهيونية المستعمرة في فلسطين. ولقد اتبع مخطط هرتزل لسوء الحظ بدقة حرفية بعد أن بدأ الصهيونيون في استعمار فلسطين . ولقد كان الصهيونيون جد مخلصين لهذه المدركات الى درجة جعلت آحاد هاعام ، وهو فيلسوف روسي عبري ، يكتب في مطلع هذا القرن مؤنبا اليهود لسلوكهم تجاه عرب فلسطين ، معبرا عن أساه للتغير الذي طرأ على المستوطنين الصهيونيين منذ قدومهم الى فلسطين والذي « ولد في نفوسهم ميلا الى الاستبداد ، كما هي الحال عندما يصبح العبد سيدا. وهم يعاملون العرب بعداء وشراسة، فيمتهنون حقوقهم بصورة غير معقولة ... ولا يفعل احد شيئا ضد هذا الميل الخطر الخسيس»(٧٤). لقد مارس المستوطنون الصهيونيون هذه السياسات التمييزية قبل وبعد عام ١٩٤٨ عندما اعلنت اسرائيل دولة . فحرم السكان الاصليون حقهم الانساني الخلقي الاساسي ، الا وهو حق العيش . ولقد رفض رجال الاعمال اليهود ببساطة استخدام العمال العرب ، وذلك ليحلوا مشكلة بطالة المستوطنين اليهود . « ففي تل ابيب ، حيث كان يقطن قرابة ٣٠٠٠٠٠ شخص عشية انشاء دولة اسرائيل ، لم يكن هناك عامل عربي واحد ، ولا قاطن عربي واحد »(٧٥).

ولقد تبنت دولة اسرائيل سياسة الافقار والتمييز ضد عرب فلسطين هذه على شكل قوانين أمن اضطهادية ومصادرة اراض وانكار للحقوق الانسانية والتمييز في الاستخدام . حتى لقد ذهب الناطقون الرسميون باسم اسرائيل حديثا الى حد القول بأن الشعب الفلسطيني لم يوجد على الاطلاق ، وهذا اعتراف بأن الاسرائيليين الصهيونيين يظنون أن العقبة الانسانية قد ازيلت اخيرا .